المركز الجامعي مرسلي عبد الله بتيبازة

معهد اللغة والأدب العربي

فقه اللغة

د.محمد أنيس الطيب

RCS

بطاقة الاتصال

الكلية / المعهد: معهد اللغة والادب العربي

الجمهور المستهدف: السنة أولى ليسانس

عنوان المقياس:د.محمد أنيس الطيب

المكان: المدرّج ب و أ

الأساتذة:

المحاضر: د.محمد أنيس الطيب ، anous2500@gmail.com

الأعمال الموجهة والتطبيقية:

اسم الأستاذ	بريد إلكتروني	الأفواج المعينة

الأستاذ متوفر على:

البريد الالكتروني المذكور أعلاه

المحاضرة الأولى:

1- مفهوم اللغة:

أ- لغة:

لغا، يلغو: أي تكلّم ولهج. أصلها: لغوة: على وزن فُعله، فحذفت لام الكلمة، فصارت: لغة على وزن فعه. والنسبة إليها لُغوي وليس لَغوي. وتصغّر على وزن (لُغيّة)؛ أي اللغة القليلة أو المختصرة. وتجمع على (لغات)، ولغون (ملحق بجمع المذكّر السّالم)، وتجمع جمع تكسير أيضا: لُغًا.

ب- اصطلاحا:

تعدّدت التعريفات اللغة واختلف أصحابها في ماهيتها:

اللغة عند ابن جني : هي "أصوات يعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم".

ويعرّفها الشريف الجرجاني بقوله: ما يعبر به كل قوم عن اغراضهم" بدلا من (أصوات) يشير إليها بـ (ما).

واللغة عند ابن حزم: هي "ألفاظ يعبّر بها عن المسمّيات".

أمّا ابن خلدون يعرّفها بقوله: هي "عبارة المتكلم عن مقصوده" .

ولا شكّ أنّ أقرب هذه التعريفات إلى حقيقة اللغة هو تعريف (ابن جني)، ذلك أنّه تعريف اشتمل على كل أجزاء اللغة: اصوات + يعبر بها (الوظيفة) + عن أغراضهم(مقصد ومعنى)، كلّ قوم (اختلافها وتنوعها).

2- مفهوم فقه اللّغة:

تركيب إضافي من كلمتين: فقه + لغة.

مفهوم الفقه:

أ- لغة:

الفطنة، الفهم والإدراك، فقيه: فطن، فاهم، مدرك للعلم الذي يتخصص فيه.

وإطلاق كلمة (فقه) ينصرف الذهن الى العلم الشرعي المعروف (أحكام الشرع).

وإضافتها إلى كلمة أخرى يتخصص معناها بحسب معنى المضاف إليه؛ فقه السياسة، فقه العلوم ...

وقد وردت في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس:"اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل". حيث فرّق النّبي صلى الله عليه وسلم بين الفقه والعلم، إذ يفهم أنّ الفقه أعلى مرتبة من العلم (الادراك والفهم)، فمشكلة الأمة ليست في العلم وإنّما في الفهم.

ب- اصطلاحا:

كما قلنا يخصص معنى كلمة الفقه بحسب المضاف إليه.

فقه اللغة إذا هو:

العلم الذي يدرس قضايا اللغة من أصوات وتراكيب ومفردات، بمستوياتٍ مختلفة، صوتياً ونحوياً ودلالياً وصرفياً، ومتابعة التطورات عليها، والبحث في العقبات التي تمر بها هذه اللغة، مقارنةً باللغات واللهجات الأخرى .

موضوع فقه اللغة ومباحثه:

ولفقه اللغة موضوعات جليلة وعظيمة، أوجزت فيما يلي:

الكشف عن أصل اللغة .البحث في أسرار وجمال اللغة العربيّة، وخصائصها . معرفة قواعد العرب في كلامهم .الصوتيات، وعلوم النطق .اللهجات العربية، والفروق بينها .المستوى الصرفي، وعلم بنية الكلام .النحو العربي وقواعده .علوم الدلالة .ازدهار علوم الدلالة وانحطاطها .أنواع الشتقاق .الترادف والتضاد والنحو . الترجمة والتعريب وسننهما .المعاجم والفهارس العربية ومناهجها .البحث في تنقية اللغة، وتصفيتها من الشوائب والدخيل .معرفة العقبات والمشكلات التي تتعرض لها اللغة .استيعاب اللغة للمصطلحات الحديثة في مجالي الطب والصناعة . اللهجات المختلفة، والعناية بالخط العربي .الاهتمام بالدراسات التي تنشرها المعاجم اللغوية، ومناقشة نتائجها وتوصياتها.

-المجموعات اللغوية (تقييم اللغات العالمية).

-المجموعة السامية كإحدى هذه اللغات. واللغة العربية جزء من السامية الفصحى.

الفرق بين فقه اللغة وعلم اللغة:

لو رجعنا الان الى التمييز بين فقه اللغة وعلم اللغة يمكن أن نذكر ان الفرق الرئيسي يتجلى فيما يلي:

1-يعتمد علم اللغة المنهج الوصفي الآني للنصوص اللغوية؛ بينما يعتمد فقه اللغة المنهج التاريخي التطوري المقارن .

2-تنصب الدراسة في علم اللغة على النصوص الحية وخاصة الشفوية منها في حين نجدها تهتم في فقه اللغة بالنصوص المكتوبة والقديمة بشكل خاص بالإضافة إلى المخطوطات والنقوش.

3 -يهدف علم اللغة الى دراسة النظام اللغوي في البنية اللغوية؛ بينما يهدف فقه اللغة بالإضافة إلى دراسة اللغة بحد ذاتها الى الوصول الى معلومات تتعلق بالتاريخ والثقافة والعادات والتقاليد، وغير ذلك مما يمكن استنباطه من النص اللغوي (تتخذ اللغة هنا وسيلة، بينما في علم اللغة هي غاية في حد ذاتها)

4-يهتم فقه اللغة بدراسة اللغة في جوانبها الخارجية؛ أي منطلقها الذي انطلقت منه طبيعة الشعوب التي تتكلم بها، وتاريخ تداولها ونشأتها. أمّا علم اللغة فيدرس الظاهرة اللغوية دراسة موضوعية في حدّ ذاتها ولذاتها.

5-فقه اللغة سبق من الناحية الزمنية علم اللغة الذي جاء لتوضيح التركيز اللغوي دون غيره.

المحاضرة الثانية: اللغات السامية، الساميون ومهدهم الأول.

يطلق هذا المصطلح على الشعوب: الأرامية والفينيقية والعبرية والعبرية واليمنية والبابلية. وكان العلامة الألماني scholozer أوّل من استخدمه وهذه التسمية مقتبسة من الكتاب المقدس الذي ورد فيه:" ان ابناء نوح هم سام وحام ويافث، وان القبائل والشعوب تكونت من سلالتهم".

لا تمتلك صورة واضحة عن المهد الأول للساميين، ما يرجّحه العلماء ان الموطن الاول للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية.

– حظيت اللغة العربية بكثير من العناية من طرف الباحثين، فقد عدوها أقدم اللغات السامية.

واللغات السامية – بوجه عام– تشترك في عدد من الخصائص الدالة، وتنقسم اللغات السامية الي قسمين:

أ– شرقية:

البابلية، الآشورية(بلاد أكاد= الاكادية) وكانوا يسمونها (المسمارية نسبة الى الخط المسماري)، تمركزت في القسم الجنوبي من بلاد العراق السومريون.

ب– غربية : وهي نوعان:

1 –شمالية: وتضمّ الكنعانية، الأرامية (في العراق وما جاورها)، وهي لغة القبائل العربية نزحت من القسم الغربي الجنوبي من بلاد العرب واستوطنت فلسطين وسوريا وبعض جزر البحر الابيض المتوسط.

العربية الجنوبية والعربية الشمالية:

لاحظنا حتى الآن أن الشعبة الاساسية الشمالية تلك التي تضم (الكنعانية والأرامية) بلهجاتها فعلينا ان نعرف الشعبة الاساسية الأخرى في اللغات السامية الغربية وهي الجنوبية التي تشمل على اللغتين العربيتين وهما: العربية الجنوبية والعربية الشمالية.

1- العربية الجنوبية: وتسمّى اليمنية القديمة أو القحطانية ويلقبهما بعضهم (السبئية) تسمية لها بإحدى لهجاتها الشهيرة التي تغلبت عليها جميعا.

وقد اهتدى العلماء إلى أن هذه اللغة بلهجاتها (العربية الجنوبية) تختلف عن اللغة العربية الشمالية (المقصودة بالعربية عند الاطلاق) اختلافا جهويا أساسيا في القواعد النحوية، والمظاهر الصوتية الدلالات المعنوية. أهم لهجاتها: المعينية السبئية، الحضرمية القتبانية.

2- أما العربية الشمالية فإننا لا نكاد تعرف شيئا عن نشأتها والمراحل التي اجتازها في عصورها الأولى وهي قسمان: العربية البائدة والباقية.

العربية البائدة واهم لهجاتها:

امتازت المجموعة من اللهجات (الثّمودية، الصفوية، اللّحيانية) بأمرين:

1- أنها أقرب لهجات العربية البائدة إلى الفصحى.

2 –أنّ الخط الذي دونت به ينبغي ان يعتبر المرحلة الأولى في تطور الخط العربي وانتشاره (الخط المسند)=النقش السبئي. وهو خطّ تستند أكثر حروفه إلى ما يشبه الأعمدة وهو خط هندسي الشكل لطيف منسق.

بعد أن رجعنا البصر في اللمحة التاريخية عن اللغات السامية، لا يمكن أن نتغافل عن أواصر القرب بين تلك اللغات، بل وجدناها جميعا في مناطق متقاربة (شبه الجزيرة العربية) وأن هذا التقارب الزماني والمكاني ليدل دلالة قاطعة على أن العربية فرع من هذه الفصيلة السامية.

المحاضرة الثّالثة: العربية الباقية وأشهر لغاتها.

لقد أوضحنا أن اللغة العربية الباقية هي التي ما نزال نستخدمها في الكتابة والتأليف والأدب، وهي التي وصلتنا عن طريق الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والسنة النبوية؛ لذلك تنصرف إليها "العربية" عند إطلاقها، والواقع أن الإسلام صادف –حين ظهوره– لغة مثالية مصطفاة موحدة، جديرة أن تكون أداة التعبير عند خاصة العرب لا عامتهم، فزاد من شمول تلك الوحدة وقوّى من أثرها بنزول قرآنه بلسان عربي مبين هو ذلك اللسان المثالي المصطفى، وكان تحدّيه لخاصة العرب وبلغائهم أن يأتوا بمثله، أو بآية من مثله، أدعى إلى تثبيت تلك الوحدة اللغوية، على حين دعا العامة إلى تدبر آياته وفقهها وفهمها، وأعانهم على ذلك بالتوسعة في القراءات، ومراعاة اللهجات، في أحرفه السبعة المشهورة.

والوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره، وقوّاها قرآنه بعد نزوله، لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عمليًّا قبل الإسلام وبقاءها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا إذا عادوا إلى أقاليمهم يتحدثون بتلك اللغة المثالية الموحدة، وإنما كانوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم، وخصائص ألحانهم، قال ابن هشام[3]: "كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض، وكلٌّ يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها، ومن ههنا كثرت الروايات في بعضالأبيات".

ويبدو أن اللغوين الأقدمين لم يعرضوا للهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضًا مفصلًا يقفنا على الخصائص التعبيرية والصوتية لهاتيك اللهجات؛ لأنهم شغلوا عن ذلك باللغة الأدبية الفصحى التي نزل بها القرآن، وصيغت بها الآثار الأدبية في الجاهلية وصدر الإسلام. وهم –لشعورهم بعدم توفرهم على دراسة هذا الموضوع دراسة دقيقة عميقة– كانوا يتخلصون من اختلاف اللهجات بالاعتراف بتساويها جميعًا في جواز الاحتجاج بها، بعد الاكتفاء بإشارات عابرة مبثوثة في كتب الرواية واللغة، إلى بعض تلك اللهجات. فهذا ابن جني على عنايته بدقائق الدراسة اللغوية لا يتردد في "خصائصه" في عقد فصل خاص حول ما سماه: "اختلاف اللغات وكلها حجة"، وهو يقصد باللغات لهجات العربية المختلفة، وينصّ على جواز الاحتجاج به جميعًا، ولو كانت خصائص بعضها أكثر شيوعًا من خصائص بعضها الآخر، فيقول: "إلّا أن إنسانًا لو استعملها لم يكن مخطئًا لكلام العرب، لكنه يكون مخطئًا لأجود اللغتين؛ فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع، فإنه مقبول منه غير

منعي عليه، وكذلك أن يقول: على قياس مَنْ لغته كذا كذا، ويقول: على مذهب مَنْ قال كذا كذا؛ وكيف تصرفت الحال؛ فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ، وإن كان غير ما جاء به خيرًا منه".

المحاضرة الرابعة: أهم النظريات القائلة في نشأة اللغة الإنسانية.

النظرية التوقيفيّة:

ترى هذه النظرية أن اللغة ليست من صنع الإنسان، وإنّما هي من صنع الخالق وقد أوقف الإنسان الأوّل عليها وألهمه إلهاما. وقد لقي هذا الرأي قبولا عند بعض العلماء، خاصة وأنهم استندوا إلى نصوص من القرآن، قول الله تعالى: "وعلّم آدم الأسماء كلّها"، أي أهلمه الله اللّغة وعلمه إيّاها. فظاهر الآيات صريح في أنّ اللغة هبة مباشرة من الله تعالى وبهذه الهبة انتصر الإنسان فاستحقّ الخلافة في الأرض، كما توضّح الآيات أنّ دور آدم عليه السلام، كان دور المتعلّم، فقد فسّرت كلمة (علّم): بمعنى: لقّن ووقف.

هناك من العلماء من عارض هذه النظرية ومنهم ابن جنّي يقول: قد يجوز أن يكون تأويل الآية أن الله تعالى أقدَر آدم على أن واضع عليها، وهذا المعنى من عند الله تعالى لا محالة، فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به.

نظرية الاصطلاح والمواضعة:

يرى أصحابها ان الإنسان هو مصدر اللغة وهو واضعها وصانعها، يقول ابن جنّي: "كان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومة فيضع من كل واحد منهما سمة ولفظا إذا ذُكر عرف به ما مسماه ليمتاز عن غيره".

وليس لهذه النظرية أدلة مباشرة مقبولة تاريخيا أو نقليا أو عقليا، وما قدّموه لا يعدوا أن يكون إضعافا أو إبطالا لأصحاب النظرية الأولى .

نظرية المحاكاة والتقليد:

اللغة في نظرهم هي من صنع الانسان وصل اليها بالمحاكاة والتقليد لكلما وقع على سمعه من أصوات الطبيعة كأصوات الحيوانات والطيور... فقد تصوروا أن اللغة اكتمل نظامها تدريجيا حيص حاكى الانسان الأصوات المسموعة دلالة على مصدرها أو على ما يلازمها ويصاحبها وكانت المحاكة أول الأمر كاملة فبدأت تختلف شيئا فشيئا بتحول الأصوات الى كلمات ذات مقاطع وهنا دخلت الاشارة الجسمية واليدوية مصاحبة الكلمات المنطوقة لتساعد على التعبير والابانة. وكلما تطورت اللغة بعدت الألفاظ عن مصدرها وقل استخدام الاشارات ثم تحولت اللغة الى مفردات.

وتعليقا عما سبق:

– لا يمكن التسليم بأي نظرية من النظريات فليست اللغة كلها من قبيل الالهام ولم تكن جميعا نت باب الاصطلاح والمواضعة.

– لا نستطيع رفض جميع النظريات أو احداها لأن لكل منها نصيب من الصحة له ما يقويه من واقع اللغة.

تطرّقنا في المحاضرات السابقة ضمن مادة فقه اللغة العربية إلى ما يأتي:

1- فقه اللغة: نشأته، مفهومه، الفرق بينه وبين مصطلح علم اللغة.
2- أهم النظريات القائلة في نشأة اللغة الإنسانية.
3- اللغة العربية وموقعيتها من اللغات السامية.

المحاضرة الخامسة: اللغة العربية ولهجاتها:

إن المقصود باللغة العربية هي تلك اللغة التي اصطلحنا عليها باللغة الباقية وهي نقيض اللغة العربية البائدة(العربية الجنوبية في المحاضرات السابقة)، فالباقية تلك التي مازلنا نستخدمها في التأليف والتدريس والخطابات الرّسمية والأدب؛ أو بالأحرى تلك التي وصلتنا عن طريق القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة، والشعر الجاهلي، وهي في الحقيقة لغة نجهل مهدها الأوّل ومن أوّل من نطق بها"، "ما نعرفه عنها أنّها نشأت ببلاد نجد والحجاز ثمّ انتشرت في كثير من المناطق، ومع تفرق المتكلّمين بها في مناطق مختلفة من الأرض، فقد استحال أن تحتفظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا فلم تلبث إلى أن تشعّبت إلى عدّة لهجات... يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت، والدلالة، والقواعد، والمفردات،

فاختصت كل قبيلة بلهجة من هذه اللهجات...وفي الوقت ذاته فقد أُتيحت لهذه اللهجات المتعدّدة فرص الاحتكاك ببعضها البعض بفضل التّجارة تبادل المنافع...فاشتبكت هذه اللهجات وتصارعت إلى أن كُتب الغلبة للهجة قريش فطغت على جميع اللهجات في المحادثة، فأصبح العربي أيّا كان لهجته، ينظم شعره يلقي خطاباته بلهجة قريش، ولا شكّ أنّ لهذه الغلبة عوامل:

1- العامل الديني: وهو مجاورة قريش للكعبة، فاستأثرت بخدمتها وخدمة زوارها من الحجاج الذين كانوا يقصدونها من أجل تقديم قرابينهم للأصنام التي كانت تحيط بها

2- نشاط قريش التّجاري، فقد كان معظم التّجار من قريش، يتنقلون بتجارتهم في مختلف بقاع الأرض، عبر رحلات دورية منظمة؛ رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، كل هذا جعل لها سلطانا اقتصاديا.

3- ونتيجة للعاملين الديني والاقتصادي، وموقع بلادها الاستراتيجي وما كانت تمتاز به من حضارة ونعيم؛ فقد تشكّل لقريش نفوذ سياسي قوي في سائر بلاد العرب، جعل كلمتها مسموعة.

4- كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية وأغزرها مادّة وأرقّها أسلوبا وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول، فقد تمّ لها ذلك بفضل احتكاك قريش بمختلف القبائل فكانوا يسمعون لهجاتها المختلفة فتختار قريش أعذب الكلمات منها وأجملها، لتصير الكلمة جزءا لا يتجزأ من كيانها وبنيتها القرشية ش. .

كلّها عوامل توفّرت عليها قريش ساعدتها في أن تحتلّ الرّيادة والغلبة بين جميع اللّهجات العربيّة، وإنّ الصراع بين لهجتين محلّيتين ينتهي بتغلّب إحداهما على الأخرى في حالتين:

الأولى: أن يكون لأهل واحدة منهما نفوذ على أهل اللّهجة الأخرى، في هذه الحالة يكون الغلبة للهجة المنطقة ذات النفوذ، شريطة أن لا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وأدبا. مثل اللّهجة الجزائرية العاصمية، نلاحظ المدن المجاورة لها متأثرة في لهجتها بكثير من الظّواهر الصّوتية والمعجمية.. التي تظهر في لهجة سكان العاصمة، مثل: نطق القاف في كل شيء، قاع، نيف، شمَّخ..

ثانيها: أن تفوق إحدى المنطقتين على الأخرى ثقافة وأدبا وحضارة ومقوّمات لغتها وآدابها، ففي هذه الحالة يكتب لها النّصر للهجتها وإن لم يكن لديها سلطان على هذه المنطقة الأخرى.

وعليه فقد توفّرت قريش على الحالتين معا، فكانت ذات نفوذ ديني وسياسي واقتصادي ولديها السيطرة والقوّة من جهة، وغزارة مفردات لهجتها وجمالها وسبق فضلها على العرب أدبا وحضارة من جهة أخرى؛ فترتّب عن هذه الغلبة أن صارت لهجة قريش لغة الآداب عند جميع القبائل، وبها تتفاوض الوفود، ويتبارى الأدباء، وتُدون الرّسائل.. فلا غرابة إذن أن جاء القرآن الكريم بلغة قريش –هذا أغلب الظنّ– وكان مفهوما لدى قبائل العرب جميعا، ولا غرابة أيضا أن جاءت آثار العصر الجاهلي من معلّقات وخطب وحكم وأمثال مؤلّفة بلغة قريش.

- وممّا بجدر التنويه إليه في قوانين اللّغات، أنّ اللغة المنتصرة لا تخرج سليمة من صراعها، بل إن اللغات المغلوبة تترك في اللّغة الغالبة آثارا في

نواحي الأصوات والمفردات، والقواعد والأساليب، وهو ما حصل للهجة قريش التي ما برحت هي الأخرى أن تركت فيها اللّهجات المغلوبة أثارا كثيرة فنقلت إليها طائفة كبيرة من المفردات والأساليب، وإلى هذا ترجع بعض العوامل في غزارة مفردات لغة قريش، وكثرة مترادفاتها، وقبول الكلمة أوزانا كثيرة للفعل الواحد،.

أثر الإسلام (القرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف) في النهضة باللّغة العربيّة:

- نزول القرآن الكريم بلغة قريش أعطى لها شرعية وزادها سلطانا على الألسنة وجعل منها لغة التواصل بحقّ دون منازع.
- تهذيب اللغة العربية وتنقيحها والنهوض بها إلى أرقى مستوى من حيث الأغراض والمعاني والأخيلة، والأساليب والألفاظ.

- الأغراض: اتسعت بفضل القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث أصبحت اللغة العربية تعنى بعلاج مواضع لم تعهدها من قبل مثل: التّشريع، التاريخ، القصص، شؤون الأسرة، أحكام العبادات والمعاملات، الغيب، الفلك..
- المعاني: ارتقت بسبب توسع الأغراض، فقد قويت اللغة العربية على تجلية المعاني الدقيقة، واستخدمت فيها الحجج العقلية والبراهين الفلسفية.
- المفردات: تجرّدت الألفاظ من معانيها العامّة القديمة، وصارت تدلّ على معان خاصة تتّصل بالعبادات والشّؤون السّياسيّة، كألفاظ الصّلاة، الوالي، الخليفة، أمير المؤمنين،.. إضافة إلى ألفاظ أعجميّة استوردتها من السريانيّة والفارسيّة واليونانيّة، مثل: العسكر، الديوان،

الاصطرلاب(الة يعرف بها الوقت) الطلسم، المغنطيس..كلّ ذلك عن طريق الاشتقاق، النحت، المجاز، فإن عجزوا لجأوا إلى التعريب خاصة إلى كانوا يخشون من ضياع معنى المصطلح إذا ما تمّ نقل لفظه إلى العربية.

- قضاء الإسلام على الألفاظ الجاهليّة التي تمسّ العقيدة الاسلامية، كأسماء الأوثان والأصنام...وكذلك أسماء الأيام والأشهر لاتصال بعضها في أذهان العرب بشؤون وثنية أو نظم جاهلية تعارفوا عليها، مثل: (جمادى الأخرى: البائدة لكثرة القتال"[1].

المحاضرة السادسة: أنظمة الألفاظ والمعاني في اللّغة العربيّة.

"للغة العربية نظام يحمل في طياته أسرارا لغويّة وطرائف تستحق من الدارس الالتفات إليها، وليس المقصود بالنّظام هنا القواعد التي تتعلّق بالنحو والصّرف وغيرها وإنّما المقصود به الآتي:

النّظام اللّغوي –حسب الرافعي– على ثلاثة أضرب:

أ– نظام الألفاظ بالمعاني.

ب– نظام المعاني بالألفاظ.

ت– النّظام المطلق أو نظام القرينة أو نظام الحس النّفسي.

[1]- فقه اللغة وافي 86.

حيث يرى الرافعي أنّ "ابن جنّي أوّل من ناهض هذا البحث إتقانا، وإنّما كان العلماء قبله يستروحون إلى أشياء منه عند الضّرورة، ويتعلّلون به، وأكثرهم لزوما بذلك شيخه أبو علي الفارسي."

1- **نظام الألفاظ بالمعاني:** المراد به مقاربة الصّيغ اللّفظيّة للمعاني الموضوعة لها.

وقد حاول ابن جني عبر هذا النّظام إثبات جملة من الأمور في كتابه الخصائص تحت باب (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) .

- أنّ العرب كانت تقارب حروف الألفاظ حتّى تقاربت معانيها، ومن ذلك قوله تعالى: " ألم تر أنّا أرسلنا الشّياطين على الكافرين تؤزّهم أزّا" ؛ أي نزعجهم وتقلقهم، فهذا من معنى تهزّهم هزّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللّفظان لتقارب المعنين، وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء.
- أنّ هذه المقاربة قد تكون في الأصل الواحد بالحرفين، نحو قولهم السحيل والصهيل، وذاك من (س ح ل) والآخر من (ص هـ ل)، فالسين أخت الصاد، والحاء أخت الهاء.
- أنّ العرب يصورون اللفظ على هيئة المعنى: وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على وزن (فعلان) بثلاث حركات إنّها تأتي للاضطراب والحركة، نحو غليان، غثيان، فقابلوا توالي الحركات في المثال مع توالي الحركات في الأفعال.

- مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث: ذلك أنّ العرب كثير ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها، ومن ذلك الخضم والقضم، فاختاروا الخاء لرخاوتها للأكل الرطب، والقاف لصلابتها للأكل اليابس. ومن ذلك أيضا: النّضح للماء والنّضخ أقوى/ قال تعالى: "فيهما عينان نضّاختان" فجعلوا الحاء لرقّتها للماء الضّعيف، والخاء لغلظها لما هو أقوى منه.

2- **نظام المعاني بالألفاظ:** والمراد به طريقة تجزئة المعاني واستعمال الألفاظ في تخصيص كلّ جزء وبيان صفاته. ش

يقول الرافعي: "والعربيّة تعتبر أحكم اللّغات نظاما في أوضاع المعاني وسياستها بالألفاظ، وهي من هذا القبيل أعظمها ثروة،... بحيث لا تدانيها في ذلك لغة أخرى، فالعرب لم يدعوا معنى من المعاني الطبيعيّة التي تتعلّق بالحياة الرّوحية أو البدنية ممّا تهيّأ لهم إلا رتّبوا أجزاءه، وأبانوا عن صفاته بألفاظ متباينة تعين تلك الأجزاء والصّفات على مقاديرها، فأوّل معاني الحياة الرّوحيّة **الحب**، ثم **العلاقة** وهي الحب اللازم للقلب، ثمّ **الكلف** وهو شدّة الحب، ثم **العشق** وهو اسم لما فضل على المقدار الذي اسمه الحب، ثمّ **الشعف**، وهو إحراق الحبّ للقلب مع لذّة يجدها، وكذلك **اللّوعة واللاعج**، فإنّ تلك حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق، ثمّ **الشّغف** وهو أن يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه، ثمّ **الجوى** وهو الهوى الباطن، ثمّ **التّيم** وهو أن يستعبده الحبّ ثمّ **التّبْلُ** وهو أن يسقمه الهوى، ثمّ **الهيوم** وهو أن يذهب على وجهه لا يستقر، وذلك لغلبة الهوى عليه، ومنه رجل **هائم**". وهكذا فعلوا مع السّرور، والعداوة والحزن، والسّرعة، ,,,

وكذلك فعلوا أيضا مع الحياة البدنية من أصول المعاش الطبيعيّة التي هي قوام أمرهم كاللبن والخيل والإبل من تسمية أجزائها وصفاتها...

3- **النّظام المطلق أو نظام القرينة أو نظام الحس النّفسي:**

"ويسمى بالنّظام البديع وذلك أنّهم يعتمدون في ضرب من كلامهم على اللّمحة الدّالة والإشارة التي تقع موقع الوحي، وعلى أضعف أثر يشير إلى وجه الكلام،..ثمّ يطلقون الكلام غير مقيّد بنظام، ولا متّبع لطريق غيره من سائر الكلام، وذلك نظم ينفردون به، ولا تجد القليل منه في لغة غيرهم إلا حيث تصيب أدلة النّبوغ في أشعر الشعر ومأثور المنثور. وقد سماه علماؤنا ب(سنن العرب).

ومن أمثلة ما ذكره العلماء من سنن العرب التي يتحقّق فيها نظام القرينة:

- مخالفة ظاهر اللّفظ: كقولهم عند المدح، قاتله اللّه ما أشعره ! فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه.
- ذكر الواحد والمراد الجمع، كقوله تعالى: "هؤلاء ضيفي"، والمراد الجماعة ضيوفي.
- ذكر الجمع والمراد واحد أو اثنان: مثل قوله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام "ارجع إليهم" والخطاب لاثنين.
- أن يبتدئ بشيء ثمّ يخبر عن غيره: "والذين يُتوفّون منكم ويذرُون أزواجا" فخبّر عن الأزواج بلفظ (يتربصن)، وترك (الذين..).
- نسبة الفعل إلى الجماعة وهو لأحدهم، "وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها" والقاتل واحد.

وصف الشيء بما يقع فيه: كقولهم ليل نائم ونهار صائم، إذا ناموا فيه وصاموا..

2"

[2]- فقه اللغة مفهومه وموضوعاته ص143- 149.